



مركز المسبار للدراسات والبحوث

Al Mesbar Studies & Research Centre

الإسلاميون والعمق الاجتماعي في العالم العربي وتركيا

الكتاب 101 مايو (أيار) 2015

كتاب شهري يصدر عن مركز المسبار للدراسات والبحوث

حزب الله في لبنان: المؤسسات والحضور الاجتماعي

عبدالغني عماد*

كتب الكثير عن حزب الله وعن الأيديولوجيا التي يعتمدها، وعن إستراتيجيته وتحولاتها، وعن سياسته وبنيته وعلاقاته بإيران والمحيط، إلا أن الدراسات الجادة حول مصادر القوة الاجتماعية والدينية والمؤسسات التي تشكل العمق الحاضن لحزب الله والبيئة التي يصنعها وينميها، هي قليلة، إن لم نقل؛ هي نادرة.

(* أكاديمي وباحث لبناني مختص في الحركات الإسلامية.

إن التحول الذي طرأ على الحزب، بعد نهاية الحرب اللبنانية عام 1990 ثم بعد حرب يوليو (تموز) 2006، كان تحولاً عميقاً. ففي أواخر الثمانينيات من القرن الماضي كان حزب الله أقرب إلى تشكيلات عسكرية مقاتلة منظمة تنظيمياً عالياً، لكنها مع ذلك كانت عاجزة عن الإمساك بالأرض في جنوب لبنان حتى في مقابل منافسها اللبناني الشيعي، عدا عن أنها واجهت أحد أقوى الجيوش التقليدية في الشرق الأوسط في الجنوب إبان حرب يوليو (تموز) 2006، إلا أن إحدى أبرز نتائج هذه المواجهة كانت تثبيت وقف إطلاق النار تحت رعاية قوات دولية في الجنوب، جاءت مدعومة بقرار من مجلس الأمن من جهة، والمزيد من انغماس حزب الله بالشؤون الداخلية اللبنانية ومشاركته لأول مرة بالحكومات اللبنانية، ومن ثم تورطه بنزاعات عسكرية لم يتردد فيها عن استخدام سلاحه - لأول مرة - داخل العاصمة ضد شركائه في الوطن⁽¹⁾، بل إنه تخلى كل ذلك وذهب بسلاحه إلى سوريا لدعم نظام بشار الأسد منذ عام 2012 خارج إطار الشرعية اللبنانية.

بغض النظر عن الأسباب والنتائج التي ترتبت على ذلك، ثمة تساؤلات جدية تطرح نفسها بعد كل هذه السنوات، في خضم الانقسام اللبناني الطائفي والمذهبي والسياسي، وهي تتمحور حول مصادر القوة التي تمتلكها الأطراف المتصارعة في لبنان ذات التمويل الخارجي، كما في حالة حزب الله تحديداً.

في أدبيات الحروب الأهلية والصراعات والثورات، تحدد المساعدات الخارجية (الهبات والمنح والمساعدات الاجتماعية) أحجام وأدوار أطراف الصراع، كما ترسم ملامح مستقبلهم وهوية الفاعلين الأساسيين فيه، وتحدد متغيراته الأساسية. مع ذلك، لا يمكنها أن تحدد النوعية والنتائج، فالبعض يستثمر هذه الإمكانيات بشكل

(1) تحديداً في 7 مايو (أيار) 2008، وقد أصبح هذا التاريخ نقطة تحول في تاريخ الصراع السياسي بين 8 و14 مارس (آذار) إذ لم يكتفِ الحزب بالاستيلاء على بيروت حينها، بل صعد مقاتلوه إلى الجبل حيث دارت معارك عنيفة مع الدروز في عمق الشوف. ولم تتوقف المعارك التي كادت تتحول إلى فتنة سنية - شيعية عميقة تخطف لبنان، إلا على وقع ما عرف باتفاق الدوحة، وانتخاب رئيس للجمهورية وتشكيل حكومة وفاق وطني وإجراء الانتخابات النيابية والالتزام بعدم استخدام العنف لحل الخلافات السياسية الداخلية. سقط في هذه العملية (80) قتيلاً و(250) جريحاً معظمهم من المدنيين، وولد معها منطق جديد لحزب الله يقوم على «حماية السلاح بالسلاح»، وتخطف الحزب إخراج استخدام سلاحه في الداخل بعد تردد، واعتبر - ولا يزال - ذلك اليوم، «يوماً مجيداً من أيام المقاومة». انظر لمزيد من التفاصيل: تقرير مجموعة الأزمات الدولية رقم (23)، (25 مايو/ أيار 2008)، ص9.

فاعل لتجنيد مقاتلين محترفين مؤمنين بقضيته، تفيد الجهات الداعمة بشكل جيد، فيما البعض الآخر يفشل بذلك ويجد نفسه أمام مرتزقة، تماماً كما في حال المساعدات والمنح الاجتماعية التي بدل أن توظف بشكل إيجابي لخدمة المشروع السياسي أو الأيديولوجية، تتحول إلى شبكة ضعيفة الأداء تفوح منها رائحة الفساد.

من أجل «البقاء والاستمرار» يحتاج أي حزب أو تنظيم عسكري يعتمد على تمويل خارجي، ويعمل خارج إطار الشرعية أو بموازاتها، إلى إستراتيجية تتيح له «مقاومة العدو» والقدرة على «تعويض الخسائر والتعافي». لذلك، فإن خطوط إمداده هي شرايين الحياة بالنسبة إليه. وبالنسبة لمثل هذه التنظيمات، كما في حال حزب الله، لا يكفي مجرد «البقاء والاستمرار» لأن هذا معناه الجمود، بل لا بد من «البقاء والاستمرار الفاعل»، وهذا يتطلب ضمان تدفق «الموارد المادية» من الدولة الراعية (إيران) من جهة، والاطمئنان في البيئة الحاضنة والحصول منها على «الموارد البشرية» من جهة ثانية. وعادة تكون المنح والهبات والخدمات أسهل طريقة لذلك بالنسبة لدول راعية وبالنسبة لجماعة أيديولوجية منسجمة معها، تسوّق مشروعاً يمكنه أن يجد مع المدنيين في هذه البيئة آذاناً مصغية، وتصبح -تالياً- العلاقات أكثر موثوقية ومصداقية بين الأطراف.

تعتمد غالبية الأحزاب الممولة من خارج بلدانها والمالكة لهوامش عسكرية موازية لشرعية السلطة، في ادعاء لتمثيل (طائفي، إثني أو مذهبي) على ثلاثة خيارات إستراتيجية واسعة لكسب المعركة، وتتلخص في (الإكراه والخدمات والإقناع) في مواجهة خصومها، بل في التعامل مع بيئتها ومجتمعها الذي تعمل على كسبه واجتذابه. وهي، عملياً، وإن كانت في الغالب تستخدم خليطاً من الأساليب الثلاثة معاً، فإن أحد هذه الخيارات يكون مهيمناً في العادة. صحيح أن الإكراه أفضل وأسرع وسيلة للحصول على الموارد من المدنيين (سواء أكانوا من بيئة وطائفة الحزب نفسها أو من غيرها). وتقديم الخدمات أسهل وأسرع وسيلة لدول راعية ولتنظيماتها للحصول على تأييد جماعة ما، لكن نتائجه على المدنيين المتوسط والبعيد ليست مضمونة وقد تكون عكسية، في حين أن الإقناع والتسويق الدائم والصبور للأفكار

والأهداف، والمتزامن مع الخدمات ومع شيء من «الهيبة» والإكراه، هو السبيل الأكثر موثوقية ومصداقية للوصول إلى موارد مادية وغير مادية متدفقة.

في هذه الحالة يتطلب الإقناع والتسويق أعلى درجات الاستثمار الفاعل للخدمات في البيئة المستهدفة (طائفة، إثنية، مذهب، جماعة مهمشة) وهذا لا يتحقق بالخدمات الظرفية أو تلك التي تلبى احتياجات مادية قصيرة المدى فقط (توزيع مساعدات غذائية أو تقديم خدمات صحية ظرفية فقط)، «الاستثمار الفاعل» الذي يضمن اجتذاب البيئة المستهدفة هو الذي ينجح بكسب ولائها من طريق إعادة تشكيل «هويتها» وشحنها بكل ما يخدم مشروعها السياسي والأيدولوجي، وهو يتطلب خدمات من نوع آخر تتوجه نحو «الوعي الجماعي» لإعادة صوغه من خلال مؤسسات وخدمات تربوية ورعائية وفكرية بعيدة المدى في تأثيرها.

صحيح أن هذه الهويات موجودة بالأساس قبل هذه الأحزاب، لكنها في حالة جمود وسكون أو في حالة تكيف مع الواقع، وهي لن تستمر كذلك عند دخول أي متغير جديد. والمقاربة السوسيولوجية لمسألة «الهويات» في أكثر من مكان أفادت بأنه لا يمكن النظر إليها كسمة ثابتة خارج الزمان والمكان، أو كتوصيف غير قابل للتفاوض. فالهويات ظاهرة دينامية مشروطة اجتماعياً، تاريخياً وسياسياً، وصوغها على أنها موجودة قبل الأحزاب (الطائفية والإثنية) ومستقلة عنها، لا تأخذ بعين الاعتبار دور هذه الأحزاب نفسها في «صوغ» و«تعيين» وإعادة تشكيل الهويات» استراتيجياً، كجزء من معركة «البقاء والاستمرار» بالنسبة لها، وتالياً كمبرر لمشروعها الأيدولوجي. وحزب الله من جملة هذه الأحزاب الفاعلة في هذا الاتجاه على مستوى الجماعة الشيعية في لبنان.

الفرضية التي تناقشها هذه الدراسة في حالة حزب الله وتخضعها للاختبار تقول: كلما نجحت الأحزاب الممولة خارجياً في تسويق أيدولوجيا الجهة الراعية ومشروعها السياسي في بيئتها المحلية، ضمنت استمرار تدفق الموارد المادية (مال- سلاح- هبات- منح... من الجهة الراعية) وتنامي الموارد البشرية والمادية

(تطوع، تجنيد، تأييد، كفاءات محلية، جبايات... إلخ من المجتمع المحلي). وتالياً تعكس الفرضية واقع الترابط البنيوي - الوظيفي بين الطرفين بحيث تصبح معها «الجماعة المحلية» (طائفة، إثنية أو مذهباً) في هذه الحال حقل الصراع أو الرهان بينهما من جهة، وبين القوى الأخرى في المحيط، من جهة أخرى.

يتطلب اختبار هذه الفرضية عرضاً موضوعياً للمؤسسات الاجتماعية والتربوية وشبكاتهما الضخمة والمعقدة، التي أنشأها حزب الله في المجتمع الشيعي اللبناني، بالتعاون مع مؤسسات الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وتفحص مدى تحقق «الاستثمار الفاعل» في هذا المجال، وتتبع أساليب العمل ضمن مثلث أو إستراتيجية الإكراه والخدمات، وصولاً إلى الإقناع والتسويق.

أولاً: المؤسسات الإنمائية والخدماتية

مؤسسة «جهاد البناء» من المؤسسات الكبيرة التي أنشأها حزب الله عام 1988 بهدف دعم بيئته الاجتماعية؛ والتي تهتم بالخدمات الإنمائية المختلفة، وخصوصاً في المناطق التي تتعرض للهجوم الإسرائيلي، إلا أن المؤسسة قد اتسع نطاق نشاطها -فيما بعد- بشكل واسع. وقد تركز عمل مؤسسة «جهاد البناء» بالأساس على حقلين أساسيين: العمران والزراعة، وهي تقدم الخدمات الطارئة حسب الحاجة مثل: المياه، الكهرباء، رفع النفايات... وغيرها. وقد تطورت ونمت بشكل كبير وسريع منذ نشأتها حتى أصبحت من أهم المؤسسات الإنمائية الأهلية المنظمة في المناطق الشيعية.

تشغل المؤسسة مركزاً رئيساً لها في الضاحية الجنوبية لبيروت وفرعين أساسيين لمناطق الجنوب (النبطية) والبقاع (بعلبك)، ويعمل فيها حوالي (100) موظف (كلهم ذكور) ويبلغ حجم أعمالها السنوية حوالي (5) ملايين دولار -حسب الدراسة التي أعدتها لجنة الإسكوا⁽²⁾.

(2) دراسة حول مؤسسة جهاد البناء أعدتها الإسكوا، موقع مؤسسة جهاد البناء الإنمائية، 15 فبراير (شباط) 2009، على الرابط التالي:

<http://www.jihadbinaa.org.lb/essaydetails.php?eid=92&cid=268#.VHxvtfv0LFw>

تشمل إنجازاتها العمرانية والزراعية والإنمائية: حفر الآبار وترميم المنازل، ومدّ شبكات المياه، والتوعية والإرشاد الزراعي، وتنمية المرأة الريفية، والمحافظة على البيئة، وتأسيس الحدائق العامة، وبناء المساجد والمدارس والمستشفيات. وقد لعبت دوراً مهماً خلال الهجمات الإسرائيلية المختلفة على قرى الجنوب، وخلال القصف الجوي والبري على القرى والبلدات، وخصوصاً في عدوان يوليو (تموز) 1993 (عدوان الأيام السبعة) الذي نتج عنه ترميم (5335) منزلاً، وعدوان أبريل (نيسان) 1996، وعدوان يونيو (حزيران) 1999، من خلال قيامها بإصلاح ما يهدمه العدوان، ثم من خلال ترميم شبكات الكهرباء والري والصرف الصحي وغيرها، بالإضافة إلى بناء محطات كهربائية في القرى النائية، وتأهيل عدد من محطات مياه الشفة وبناء خزانات للمياه وحفر الآبار الارتوازية⁽³⁾.

وبالتوازي مع ذلك، عملت هذه المؤسسة على تأسيس شركة للتسليف الزراعي تؤمن مستلزمات الزراعة بكلفة أقل من السوق بنسبة 30% - 35% وتقدم الإرشاد المجاني للمزارعين، كما قامت بتأسيس (8) مراكز زراعية/ تعاونيات («5» في البقاع و«3» في الجنوب)، فضلاً عن مركزين للطب البيطري (عيادات بيطرية) في سحمر أو يحمر وتول في محافظة الجنوب.

اللافت هو تأمينها قروضاً للمزارعين في منطقة البقاع بحيث شملت حوالي (190) قرية لزراعة ما بين (15 - 20) دونماً لكل مزارع. وعادة ما تكون هذه القروض عينية (مستلزمات زراعية) بحيث لا تتجاوز ثلاثة آلاف دولار للمزارع الواحد، بدون فوائد، وتستكمل بمساعدة فنية وخدمات إرشادية يقوم بها مهندسون زراعيون من خلال زيارات حقلية.

من نشاطات هذه المؤسسة تأمين الخبراء والمدرسين الزراعيين، مثل خبراء تربية النحل (فقد تم إنجاز أكثر من «45» دورة لتربية النحل أفاد منها أكثر من «510» مربين) وخبراء تربية أسماك نهريّة، وهؤلاء الخبراء يتم طلبهم من إيران.

(3) حول دورها وأهمية الخدمات بشكل عام انظر: كتاب نائب الأمين العام لحزب الله الشيخ نعيم قاسم: حزب الله، المنهج.. التجربة.. المستقبل، دار الهادي، بيروت، 2002، ص114.

وعلى التوازي أنشأت المؤسسة مركزين للإرشاد الزراعي الأول في دورس (بعلبك) والثاني في الهرمل حيث يخدم الأول حوالي (190) قرية في البقاع الأوسط ويحتوي على حقول إيضاحية وإرشادية، وخيم بلاستيكية، ومزرعة أبقار نموذجية، ومختبرات لتحليل التربة وللأمراض النباتية، وقد بلغت تكاليف هذا المركز مليوني دولار، أما المركز الثاني (الهرمل) فهو يخدم ويغطي القضاء ويشتمل على بساتين نموذجية وخيم بلاستيكية وحقول تجارب.

عملت المؤسسة على تأمين التعاونيات الزراعية، فأسهمت في تأسيس (16) تعاونية مختلفة النشاطات (الكبيس - مربى النحل - المكننة الزراعية، و13 تعاونية زراعية). كما قامت بتأسيس صندوق تعاضدي للمزارعين من أجل التعويض عن عدم ضمان المزارع في لبنان في صندوق الضمان الاجتماعي، لذلك قامت المؤسسة بتأمين الصندوق التعاضدي الصحي للمزارعين، وحالياً هناك صندوقان يعملان في المناطق وهما: الصندوق التعاضدي في الجنوب، وينتسب إليه (3344) عائلة، حيث يفيد منه حوالي عشرين ألفاً موزعين على (113) قرية في (8) أفضية، أما الصندوق التعاضدي في البقاع فينتسب إليه (7000) عائلة، أما رسم الاشتراك في الصندوق فهو عشرة آلاف ليرة للعضوية، وحالياً تقدر مدخرات الصندوق بحوالي (162) مليون ليرة لبنانية، ويغطي الصندوق عادة التكاليف الاستشفائية التي لا تغطيها وزارة الصحة اللبنانية (أو فرق الفواتير) وقد جرى لهذه الغاية عقود مع حوالي (120) طبيباً في الجنوب، وفرت حالات المعاينة بنسبة 60% من القيمة الفعلية في كثير من الحالات.

إلى جانب القروض والتسهيلات والإرشادات التي من شأنها تخفيف كلفة الإنتاج لدى المزارع بحيث يصبح إنتاجه منافساً في الأسواق، عملت المؤسسة على المساعدة في حل مشكلة التسويق الزراعي للمنتجات، من خلال تنمية وتطوير قطاع التصنيع الزراعي وتوفير المساعدات الفنية للمزارعين في مجالات عدة، كشق الطرق الزراعية، وإقامة المعارض الزراعية، وتزويد التعاونيات الزراعية بالجرارات... وغيرها.

باختصار، يمكن القول: إن نشاطات المؤسسة كما هي لخدمة جماعة مستهدفة لذلك، فإن أهدافها في الدائرة الإنمائية المسيّسة والمتنمذبة. الحزب وإن بدأ خدماتياً إلا أنه يتجه نحو أن يصبح إنمائياً، مع تفضيل الأعمال والمشروعات الموجهة متوسطة الأمد، والهادفة إلى إقامة روابط قوية مع المستفيدين الذين يستهدفهم، وتالياً كسب تأييدهم وثقتهم.

أنشأ الحزب «شركة وعد» لإعادة إعمار ما هدمته إسرائيل إثر عدوان 2006 في الضاحية الجنوبية وقرى الجنوب اللبناني. وقامت هذه المؤسسة بمهام كبيرة لفتت الأنظار وحظيت بتمويل إيراني ضخم، وهو ما دفع وزارة الخزانة الأمريكية إلى تصنيفها ضمن الشركات التي تدعم الإرهاب؛ باعتبارها شيدت مواقع لحزب الله تحت الأرض، واعتمدت وسائل تتحايل فيها لتمويل جهازيه الأمني والعسكري⁽⁴⁾.

مؤسسة القرض الحسن: وهذه المؤسسة أثير حولها كثير من الأسئلة ومع ذلك بقيت مستمرة، وتقدم الخدمات الكثيرة. انطلقت هذه المؤسسة مبكراً ونالت ترخيصها عام 1987 (بموجب علم وخبر 217 / أ. د) وهي تستهدف إحياء «سنة القرض الحسن في المجتمع»⁽⁵⁾ حسب ما ينص نظامها، حيث يعتبر القرض المالي من أهم أعمالها، حيث تؤمنه للمقترضين من دون أن تحملهم أي أعباء إضافية كالفوائد والربا المحرم في الشريعة الإسلامية. ومن خلال إحياء هذا الهدف لمساعدة الناس، تقوم الجمعية بـ«حل بعض المشكلات الاجتماعية وتعزيز روح التعاون والتكافل والتضامن».

تقدم المؤسسة خدماتها لمن يطلب «دون تمييز» حسب نظامها، وهو أمر بطبيعة الحال لا يمكن التأكيد منه، ويتعارض وطبيعة الفروع المفتحة للجمعية وبيئتها السكانية، إلا أن الأهم هو أسلوب العمل، إذ تلجأ المؤسسة إلى إعطاء القروض الصغيرة وآجال

(4) واشنطن تحظر التعامل مع شركة «وعد» التابعة لحزب الله، جريدة الشرق الأوسط 8 يناير (كانون الثاني) 2009 العدد 10999، على الرابط التالي:

<http://classic.aawsat.com/details.asp?section=4&article=502031&issueno=10999#.VIbFsfv0LFX>

(5) انظر: موقع المؤسسة على الرابط التالي:

<http://www.qardhasan.org/branches.html>

قصيرة، ولتلبية الحاجات الاجتماعية والإنتاجية كافة من خلال إسهاماتهم المختلفة (الكفالات - الاشتراكات - المساهمات - والتبرعات). وللمؤسسة (23) فرعاً في لبنان منها (11) في بيروت، وأغلبها في الضاحية الجنوبية، وواحد في الجنوب اللبناني، وأربعة في البقاع.

وهي تعتمد لإعطاء القروض الضمانات التالية: تأمين ضمانة عينية أو مالية (رهن أو ما شابه) أو ضمانة مشتركين.

وقد أسست الجمعية -أيضاً- ثلاثة أنواع من صناديق القرض الحسن، الأول: صناديق القرض الحسن في القرى، ويقدم قروضاً ميسرة، وقيمة الاشتراك فيه عشرة آلاف ليرة شهرياً، والحد الأقصى لقيمة القرض (1500) دولار، على أن لا يقل عدد المشتركين في الصندوق عن (15) مشتركاً. أما النوع الثاني فهو: صناديق القرض الحسن في الجمعيات والمؤسسات، وهي مخصصة لموظفي هذه الجمعيات والمؤسسات، وينطبق عليه المبدأ نفسه. النوع الثالث هو: صناديق التكافل الاجتماعي، حيث تبادر الجمعية إلى تشجيع الأشخاص الذين تجمع بينهم رابطة معينة (قراية - جيرة - زمالة - عمل...) على تأسيس صندوق تكافل اجتماعي، يستطيعون من خلاله الحصول على قروض ميسرة بهدف تعزيز روح التعاون والتضامن بينهم، وفق الشروط السابقة نفسها.

تفيد الإحصاءات التي تعلنها المؤسسة بتطور ملحوظ في عدد القروض التي تقدمها، ففي عام 2001 بلغ عدد القروض (8761) قرصاً بقيمة (6,206,822) دولاراً (متوسط القرض الواحد 708 دولارات)، ليتضاعف الرقم خلال سنتين، ويستمر بالتصاعد والتضاعف ويصل عام 2013 إلى رقم (110677) قرصاً، بمبلغ يزيد عن (245) مليون دولار، بحيث بلغ متوسط القرض (2115) دولاراً، ليصل المجموع العام لقروض المؤسسة منذ تأسيسها (711667) بقيمة تزيد على مليار ومئة وتسعة وأربعين ألف دولار منذ تأسيسها، وذلك حتى عام 2013 -حسب الإحصاءات

التي أعلنتها المؤسسة⁽⁶⁾.

أثارت هذه المؤسسة الكثير من الجدل حين جمدت وزارة الخزانة الأمريكية مؤسسة الشهيد الإيرانية وفروعها في لبنان، بالإضافة إلى مؤسسة «القرض الحسن» ومنظمة «النية الحسنة الخيرية» التابعة للأخيرة، والعاملة في الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك الأصول المالية لمسؤولين في حزب الله، حيث قالت: إن هذه المؤسسات تشكل العمود الفقري في الدعم المالي لحزب الله. وحظرت على الأمريكيين القيام بأي أعمال مع هذه الكيانات والمؤسسات⁽⁷⁾.

اعتبرت وزارة الخزانة الأمريكية - حينها - في مبرراتها أن هذه المنظمات متورطة بجمع أموال للقيام بأعمال إرهابية من خلال مكتبها في ميشيغان، وأن منظمة النية الحسنة الخيرية ليست إلا واجهة لحزب الله، ترسل المال كوسيط للحزب، ومن خلالها تستخدم مؤسسة القرض الحسن كغطاء لإدارة نشاطاته التي يديرها أحمد الشامي. وهي لعبت دوراً محورياً في البنية التحتية المالية لحزب الله - حسب وزارة الخزانة الأمريكية. وقد استهدف إجراء الخزانة الأمريكية - أيضاً - قاسم عليق (أحد مسؤولي حزب الله الذي شغل منصب مدير فرع مؤسسة الشهيد في لبنان، فضلاً عن إشغاله منصب مدير «جهاد البناء»).

مثل هذه الإجراءات يمكن أن توقف بعض التبرعات الخارجية، إلا أنها - عملياً - لم تؤدِ إلى إيقاف نموها وعملها.

هيئة العمل البلدي في حزب الله: وقد أنشأها الحزب لتفعيل عمل البلديات التي يشرف عليها أو لديه ممثلون فيها في معظم الأقسية التي يوجد فيها، بهدف تحسين الأداء وتقديم أفضل الخدمات⁽⁸⁾، ويسعى الحزب إلى أن تتكامل

(6) انظر: إحصاءات المؤسسة على الرابط التالي:

<http://www.qardhasan.org/statistics.html>

(7) جاء ذلك في بيان على الموقع الإلكتروني لوزارة الخزانة الأمريكية - حينها - تحت الأمر التنفيذي رقم (13224)، 24 يوليو (تموز) 2007.

(8) موقع بلديات لبنان، حزب الله يقيم تجربة العمل البلدي، على الرابط التالي:

الخدمات التي تقدمها مؤسساته مع البلديات التي يشرف عليها، وأن يوظف إمكانات هذه البلديات لصالحه بأفضل طريقة ممكنة. لذلك تقدم وحدة العمل الاجتماعي في الحزب مع الهيئة مجموعة من الخدمات والمشروعات لترشيد عمل البلديات في مناطقها. فعلى سبيل المثال: تعتبر بلدية برج البراجنة من البلديات الكبيرة في قضاء بعبدا، وقد أفادت إفادة كبيرة من جهود وتقديرات الحزب والجمهورية الإسلامية الإيرانية، التي تتكرر لافتات الشكر لها عند تدشين بعض المشروعات، أو الهبات التي يتم تقديمها للبلدية⁽⁹⁾.

اتحاد الوفاء لنقابات العمال والمستخدمين في لبنان: بهدف تأطير

العمال الشيعة المؤيدين له، وبعد الضعف والتفكك الذي أصاب الاتحاد العمالي العام في لبنان، إثر الانقسام السياسي والطائفي بين القوى السياسية الكبرى، عمد الحزب إلى تأسيس إطار نقابي عمالي ضم (8) نقابات هي: نقابة عمال ومستخدمي التعاونيات في بيروت وجبل لبنان، ونقابة عمال ومستخدمي المستشفيات في البقاع، ونقابة عمال أسواق الخضار في البقاع، ونقابة العاملين في زراعة الخضار في الجنوب، ونقابة عمال قطاع البناء في البقاع، ونقابة عمال المطابع في الجنوب، ونقابة عمال تقنيي وفنيي الأعمال الكهربائية في الجنوب، ونقابة عمال ومربي الأسماك في البقاع، وتقدم بترخيص تحت اسم اتحاد الوفاء لنقابات العمال والمستخدمين، ونال الترخيص عن هذا الاتحاد عام 1998⁽¹⁰⁾، وأصبح بذلك من ضمن مجموعة الاتحادات العمالية التي نالت التراخيص في ذلك الحين، وزادت من تشتت وتعطيل فاعلية الاتحاد العمالي العام.

عمد الاتحاد إلى تنظيم صفوف عمال الحزب، وإلى فتح علاقات مع اتحادات

<http://www.baladiyat.org/oldsite/modules.php?name=News&file=article&sid=315>

(9) منها على سبيل المثال: ملاعب وحديقة الهادي، إضافة إلى المشروعات والخدمات التي يوفرها الحزب من خلال مشاركته في الحكومة للبلدية. انظر على سبيل المثال: تقرير على موقع الهيئة، حيث يتم عرض كل الأنشطة والإنجازات، بحيث تستفيد منه باقي البلديات بهدف تبادل الخبرات بينها، على الرابط التالي:

<http://www.amal-baladi.org/essaydetails.php?eid=356&cid=69>

(10) انظر لمزيد من المعلومات حول الاتحاد: الموقع الرسمي له على الرابط:

<http://www.syndi-awafaa.org>

ونقابات عربية، وخصوصاً في سوريا والعراق وإيران، وإلى تنظيم أنشطة ومواكبة أخرى تطالب بحقوق العمال، فضلاً عن تنظيم ندوات ومؤتمرات، أبرزها «المخيم النقابي المقاوم» الذي عقد 2013 للسنة الثانية بالتعاون مع الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب والاتحاد العمالي العام في لبنان في الجنوب اللبناني، بمناسبة الذكرى الثامنة لحرب يوليو (تموز) 2006 تحت عنوان «صحوة نقابية مقاومة». وهذا المخيم هو الثاني من نوعه الذي يشترك فيه مندوبون من مختلف النقابات في الدول العربية، حيث تقدم فيه أوراق عمل سياسية ونقابية.

ثانياً: المؤسسات الرعائية والصحية والخيرية

جمعية الإمداد الخيرية الإسلامية: فرع من فروع لجنة إمداد الخميني الإيرانية في العالم، التي يرأسها السيد حسين أنواري، ومدير الجمعية العام في لبنان النائب السابق عن حزب الله في بيروت محمد برجواوي. وهي تستهدف مساندة العائلات المحرومة والأيتام المحتاجين في المدن والقرى والأحياء، وتأمين الاحتياجات والخدمات ورعايتهم معيشياً وتربوياً وصحياً ومهنياً وثقافياً وإرشادياً للارتقاء المعيشي بهم، وتأمين العيش الكريم لمن لا معيل له، وتستهدف -من جملة أعمالها- توفير «الاكتفاء الذاتي» عبر توفير فرص العمل، وإعطاء القروض، وتوفير الحرف المهنية، والمساعدات الاستشفائية، ومراكز التأهيل، والمهنيات، واستحداث مراكز خيرية مختصة ودور أيتام ونوادٍ للمسنين، ومصح للأشخاص النفسية والعقلية⁽¹¹⁾.

يعمل في المؤسسة أكثر من (250) موظفاً، وهي تشرف على تقديم خدمات لأكثر من (9550) أسرة فقيرة تحت رعاية الجمعية. وبطبيعة الحال، فإن هذه الجمعية هي من المؤسسات المدعومة بتمويل إيراني في لبنان، وأغلب العاملين فيها، وخصوصاً على مستوى الكوادر والمسؤولين، هم ممن يشغلون مناصب وأدواراً في حزب الله. ويتكامل عمل هذه الجمعية مع الدور الذي يقوم به الحزب على المستوى الاجتماعي.

(11) انظر: موقع الجمعية على الرابط التالي:

<http://www.alemdad.net/index.php>

أنشأت الجمعية في لبنان «دار الإمام الكاظم لرعاية المسنين» في مدينة صور، وخمسة مراكز للرعاية والتأهيل (في بيروت والنبطية وبعبك والهمل وبننت جبيل) كما أنشأت مجموعة من المدارس والجمعيات التربوية والمهنية تحت اسم «مدارس الإمام الخميني» وتتوي تأسيس بعض المجمعات ضمن خطتها، منها: مجمع أهل البيت التربوي، ومجمع الإمام الخميني، ومجمع الإمام الباقر التربوي، ومجمع الإمام علي التربوي، ومركز الإمداد للتعليم المهني، الذي تم افتتاحه في منطقة الحدث ببيروت⁽¹²⁾، فضلاً عن توسيع شبكة مدارس الإمداد الأربع، التي تستوعب أكثر من ثلاثة آلاف طالب، حيث يتكامل عمل هذه المدارس مع شبكة مدارس المهدي (14) التي يديرها حزب الله أيضاً.

مؤسسة الشهيد: لهذه المؤسسة - أيضاً - موقع خاص ورعاية متميزة من حزب الله، فهي تلبية طبيعية للوظيفة الأساسية للحزب بصفته حزباً مقاتلاً ومقاوماً يسقط منه الشهداء، ولا بد - تالياً - من مؤسسة لرعاية شهدائه والتكفل بأسرهم. لذلك؛ كانت هذه المؤسسة من أولى المؤسسات التي نمت بسرعة - أيضاً - مع نمو الحزب، متخذة في تبرير وجودها ثلاثة مستويات، الأول: جهادي واجتماعي، والثاني: أخلاقي، والثالث: وطني، وتستند المؤسسة في صوغها لأهدافها ورسالتها بالعمل على تقديم كل أنواع الرعاية الأسرية الشاملة لأسر شهداء المقاومة الإسلامية في الجوانب الاجتماعية والثقافية والإرشادية والنفسية والتعليمية والمعيشية والسكنية والصحية، بهدف «إنشاء أسرة مؤمنة سوية ومستقرة لأهالي الشهداء، بما يكفل حفظ كرامتهم وحفظ مجتمع المقاومة، ونشر ثقافة الشهادة وحفظ إرث الشهيد وتخليد ذكراه»⁽¹³⁾.

تحركت المؤسسة في خططها وإستراتيجيتها تحت عنوان عريض: «أبناء الشهداء مؤمنون أقوياء مجاهدون»، استناداً واعتماداً على «الأم المربية الصالحة المؤمنة»، وتمحور عمل المؤسسة حول أربعة عناصر: مرجعية الإسلام عقيدة وسلوكاً،

(12) حصل المركز على ترخيص من وزارة التربية والتعليم - مديرية التعليم المهني والتقني، انظر رابط الوزارة: <http://edu-lb.net/ite/register.php>

(13) حول المؤسسة ونشاطاتها، انظر الرابط التالي:

<http://www.alshahid.org/essaydetails.php?eid=162&cid=303>

قدسية التضحية والشهادة، التكافل الاجتماعي العام، ومكانة ومعنويات عوائل الشهداء بهدف تحسين محور القيم في شخصية أسر الشهداء، وهي تعتبر أبناء الشهداء مركزاً محورياً في الرعاية الأسرية ودمجهم في مختلف ميادين المجتمع وليس في إيجاد مجتمع خاص بهم.

أطلقت المؤسسة برامج عدة ، منها: برنامج كفالة أبناء الشهداء، وبرنامج التخصص الجامعي، وبرنامج دعم أهالي الشهداء، كما تشمل تقديمات المؤسسة الرعاية الثقافية والتعليمية، والرعاية الصحية الكاملة، والرعاية السكنية، حيث تسعى لتأمين منزل لائق لأسرة الشهيد، والرعاية الاجتماعية والمعيشية.

ويعد **مستشفى الرسول الأعظم** على طريق مطار بيروت⁽¹⁴⁾، من أهم وأبرز إنجازات المؤسسة، حيث بدأ كمستشفى ميداني من (14) سريراً عام 1988، ليصبح اليوم يضم ما يزيد على (160) سريراً، ويتم تطويره بشكل حثيث بالتعاون مع الجمهورية الإيرانية. يتضمن المستشفى الأقسام الضرورية والحديثة كافة (من الخدمات التشخيصية، إلى التحاليل المخبرية، والتصوير الطبي، والعناية الفائقة، والعمليات، والولادة النسائية، وقسم الأطفال) والأجنحة الخاصة والمتخصصة التي أهلتها للحصول على شهادة الامتياز اللبناني من بين مئة مؤسسة استشفائية في لبنان بإشراف الاتحاد الأوروبي. وضمن خطته للتوسع، إنشاء «مركز بيروت للقلب»، المتخصص بأمراض وجراحة القلب، حيث تم تشييد المبنى المؤلف من (16000م²) عام 2009.

مؤسسة الجرحى: من المؤسسات المهمة أيضاً، حيث نالت عام 1992 العلم والخبر كجمعية تحت الرقم (5 / أ. د) بمرسوم جمهوري، ليشمل نشاطها جرحى ومعوقى المقاومة وتأمين العلاج والاستشفاء الدائم لهم، ومن ثم توفير الراحة والاستقرار وظروف الحياة الكريمة للمعوقين منهم، وتأهيل الجرحى وتنمية

(14) انظر موقع المستشفى الإلكتروني على الرابط التالي:

http://www.alrassoul.org/?page_id=414

الكفاءات بينهم، وتالياً ظروف اندماجهم في المجتمع⁽¹⁵⁾.

أقامت في سبيل ذلك مؤسسات عدة منها: مجمع الفردوس في النبطية على مساحة (30) ألف متر، ويحتوي على عدد من الشاليهات المخصصة للمعوقين وملاعب متعددة ومسبح أولمبي خاص، كما يحتوي على مركز تأهيلي يضم قسماً للعلاج الفيزيائي ومعهداً للتأهيل المهني والتقني والحرفي، وحدائق واسعة وملاعب للأطفال ومسجداً، ومحمية من النخيل، فضلاً عن قاعة كبيرة للمحاضرات ومكتبة سمعية وبصرية⁽¹⁶⁾.

كذلك أنشأت المؤسسة مجمع جويّاً عام 2002، وهو مجمع تأهيلي وترفيهي ورعائي يتضمن مشاغل حرفية للتدريس المهني والتقني للمعوقين، وقاعات خاصة لعرض المنتوجات، ونادياً رياضياً تأهيلياً وترفيهيّاً وقاعات للتأهيل البدني والعلاج الفيزيائي، ومركز إيواء خاصاً بالجرحى ومختلف الخدمات الخاصة بهم⁽¹⁷⁾.

كذلك أنشأت مراكز خدماتية أخرى مثل: مركز العباس للعلاج والتأهيل الفيزيائي والتأهيل الطبي في الضاحية الجنوبية، وآخر متخصص بتقديم الأطراف الصناعية والأجهزة التقويمية في حارة حريك، كما أنشأت ثلاثة مراكز تأهيلية تحت اسم «بيت الجريح» في مناطق بيروت كافة والبقاع والجنوب ضمن خطة توسع لتقديم خدماتها للجرحى والمعوقين، وتوفير المستلزمات كافة لهم، من رعاية وتأهيل وترفيه. أنشأت المؤسسة -أيضاً- نادي الجريح الرياضي، وحصلت على ترخيص رسمي له⁽¹⁸⁾ وشارك هذا النادي في أنشطة عديدة، منها ماراثون بيروت لفئة مصابي الألفام.

(15) بلغت الكلفة التقديرية للمشروع حسب ما نشر الموقع مليوني دولار. انظر الرابط الخاص بالمؤسسة:
<http://www.aljarha.net/essaydetails.php?eid=8&cid=301>

(16) لمزيد من التفصيل عن المجمع انظر الرابط التالي:
<http://www.aljarha.net/essaydetails.php?eid=21&cid=305>

(17) موقع مؤسسة الجرحى، على الرابط التالي:
<http://www.aljarha.net/essaydetails.php?eid=11&cid=304>

(18) بتاريخ 2005/5/10 نشر بالجريدة الرسمية تحت رقم (4783 / د) وأصبح عضواً في الاتحاد اللبناني لرياضة المعوقين.

تشر المؤسسة من ضمن إحصائياتها رقم (4453) جريحاً ومصاباً اهتمت بهم المؤسسة، بينهم (400) من الجرحى والمعوقين من جراء الألغام والقنابل العنقودية⁽¹⁹⁾، لذلك لا يقتصر عمل المؤسسة على الرعاية، بل يشمل التوعية أيضاً.

الهيئة الصحية الإسلامية: مؤسسة مركزية وتلعب دوراً مهماً ومحورياً
في إطار مؤسسات حزب الله، فهي تأسست عام 1984 في ظروف الحرب الأهلية، حيث كانت الحاجة تستدعي تقديم العون والإسعافات الأولية السريعة في ظل تردي خدمات الدولة، وذلك قبل أن تنشئ الهيئة بعد ذلك المستوصفات والمراكز الإسعافية والطبية والمستشفيات في مختلف المناطق اللبنانية، وقد حصلت الهيئة على ترخيص رسمي عام 1988 تحت العلم والخبر (رقم 291/ أ. د) ومن بعده حصلت على صفة المنفعة العامة⁽²⁰⁾.

الخدمات التي تقدمها الهيئة علاجية ووقائية، وتشمل الخدمات الصحية والإرشاد (كالصحة النفسية والصحة البيئية والصحة الإنمائية) فضلاً عن المعالجة الطبية في مستوياتها وأنواعها كافة من صحة عامة، وطب أطفال، وأسنان، وطب نسائي، ومختلف اختصاصات الطب الأخرى.

تقوم الجمعية - أيضاً - ببعض البرامج والحملات الصحية في إطار البرامج الصحية الوطنية، مثل حملات مكافحة التدخين، وحملات الصحة المدرسية والتوعية الصحية، وأمراض القلب والشرايين وغيرها. وتنتشر مراكز الهيئة الصحية في مختلف المحافظات، حيث يوجد في الجنوب (11) مركزاً و(16) مستوصفاً، وفي البقاع (5) مراكز و(6) مستوصفات، وفي الضاحية الجنوبية لبيروت (5) مراكز ومستوصف مركزي، وفي الشمال يوجد مستوصفان، فضلاً عن ثلاثة مستوصفات نقالة ومتحركة، هذا بالإضافة إلى ثلاث مستشفيات تابعة للهيئة هي: (مستشفى

(19) جدول بأعداد الجرحى والمعوقين وتصنيفاتهم وفق الإصابة والإعاقة خلال العام 2011، 23 فبراير (شباط) 2012، موقع مؤسسة الجرحى، على الرابط التالي:

<http://www.aljarha.net/essaydetails.php?eid=47&cid=332>

(20) موقع الهيئة الصحية الإسلامية على الرابط التالي:

<http://www.hayaa.org>

البتول في الهرمل، ومستشفى الشهيد صلاح غندور في بنت جبيل، ومستشفى البقاع الغربي في سحمر).

يتبع للهيئة - أيضاً - جهاز للدفاع المدني⁽²¹⁾ يقع عليه العبء الرئيس في الاشتباكات والحروب والكوارث الطبيعية، من خلال عمليات الإنقاذ والإسعاف، وقد طور الحزب هذا الجهاز بشكل فاعل وزوده بكل التجهيزات والتدريبات اللازمة لكي يقوم بمهامه بشكل فاعل وسريع أثناء القتال وتحت القصف. أما تقديمات وخدمات جهاز الدفاع المدني فتتوزع على الإسعافات الأولية وإنقاذ الجرحى والمصابين ونقل الجثث، والرعاية الصحية في حالات السلم، والإغاثة في حالات الكوارث، وتأمين وحدات الدم وإطفاء الحرائق، وعلى الصعيد البيئي: رش المبيدات وسحب المياه من الملاجئ، وحملات التلقيح، ودورات التأهيل والتثقيف، والمخيمات والنشاطات والدورات الصيفية، وحملات التوعية، ونزع الألغام، وتنظيم دورات دفاع مدني.

في الثقافة الصحية لا يعدم القائمون على الهيئة من توظيف أيديولوجي، إذ يتم تناول الموضوعات الصحية على هذه الخلفية، مثل: فقه الصوم، أو فقه المريض، والصلاة، وقضايا تغيير الجنس، والتدخين والمخدرات، والامتناع عن الحمل وموقف الدين منه، وأهمية عيادة المريض في الإسلام، وكذلك تقوم الهيئة بتنظيم مؤتمرات صحية تحت عناوين متعددة⁽²²⁾.

وتشارك فرق الدفاع المدني بفاعلية في الأيام العاشورائية بصفوف منتظمة، وكذلك تقدم استعراضات مهارية في المناسبات الاحتفالية للحزب، فضلاً عن تنظيمها أياماً وحملات وورش عمل صحية، ودورات إسعاف تدريبية وبرامج توعية، عدا عن التعاون الوطيد بينها وبين عديد من البلديات في المناطق التي تنتشر فيها وتوجد بفعالية.

(21) موقع الهيئة الصحية الإسلامية، على الرابط التالي:

<http://www.hayaa.org/civil-defenc/about>

(22) حول هذه الموضوعات انظر موقع الهيئة الصحية الإسلامية على الرابط التالي:

<http://www.hayaa.org/fiqh-of-health>

ثالثاً: المؤسسات التربوية والشبابية والكشافية

المؤسسة الإسلامية للتربية والتعليم (مدارس المهدي): أنشأ الحزب عدداً ضخماً من المدارس، بلغ (15) مدرسة، (3) في ضاحية بيروت الجنوبية، و(8) في الجنوب، و(4) في البقاع، بالإضافة إلى واحدة في «قم» بإيران مخصصة لأبناء الجالية اللبنانية. وقد بدأت المؤسسة عملها منذ عام 1993 بثلاث مدارس. وتحتضن مدارس المهدي اليوم ما يقارب العشرين ألف طالب بمختلف مراحل التعليم ما قبل الجامعي - وفق الإحصاءات التي أعلنتها الجمعية. وتولي الجمعية اهتماماً خاصاً للمتفوقين بحيث تخصص لهم منحاً دراسية تصل قيمتها إلى 45% من مجمل القسط المدرسي⁽²³⁾.

من خلال شبكة المدارس هذه، يضمن الحزب تواصلًا شديد الفاعلة مع جيل من الناشئة والفتيان في بيئته الطائفية، وداخل مجتمعات وحواضر مدرسية وتربوية يضع برامجها التوجيهية وسياستها العامة. صحيح أنها تلتزم بالمناهج الرسمية التي تحددها وزارة التربية الوطنية، إلا أنها في المضامين التربوية والتوجيهات المنهجية واللاصفية التي تبثها وترسخها في عقولهم، وخصوصاً في مقرر التاريخ والتربية الوطنية والتعليم الديني، تسهم في خلق وتصنيع الخصوصية الثقافية والمذهبية في أذهان الطلاب، ولو بطريقة غير مباشرة، وهو ما يطرح -بجدة- وظيفة التعليم الخاص الذي يغلب عليه الطابع الطائفي والمذهبي في لبنان بشكل عام، ليس فقط بما يتضمنه أو يتم تسريبه في المناهج، ولكن -أيضاً- في طبيعة الأنشطة التي تقيمها هذه المدارس، والثقافة التي تنشرها بين الطلبة، فمدارس المهدي والإمداد -على سبيل المثال- درجت على تعليم اللغة الفارسية ضمن مناهجها⁽²⁴⁾، فضلاً عن مخيمات وأنشطة لا تغيب عنها شعارات الحزب والجمهورية الإسلامية الإيرانية

(23) موقع المؤسسة الإسلامية للتربية والتعليم: مدارس المهدي، على الرابط التالي:
<http://www.webees-lb.com/almahdioproject25122012/qs/index.php>

(24) قام ألكس راول بتحقيق وسع في هذا المجال وترجمته زينة أبو فاعور عن الإنجليزية، وهو بعنوان «الفارسية من خصوصيات التعليم في الضاحية»، حيث يستطلع التدايبات الثقافية لتزايد ظاهرة تعليم الفارسية في عديد من مدارس الشيعة في لبنان، استناداً إلى مقابلات وزيارات ميدانية لبعض هذه المدارس، ومقابلات مع مدراء ومسؤولين. انظر: موقع (NOW) على الرابط المختصر التالي:
<http://goo.gl/NYkAWv>

وصور الولي الفقيه والأمين العام حتى في مستوى الروضات، حتى يبدو أن أي ارتباط بالحضارة العربية وبالعروبة يجب أن يخضع أولاً إلى التصفية المذهبية، ثم ثانياً إلى التنقية الحزبية ذات المرجعية الإيرانية.

التعبئة التربوية: من الواضح أن مصطلح التعبئة مستورد من قاموس الثورة الإسلامية الإيرانية التي يقابلها -إيرانياً- مصطلح «باسيج»⁽²⁵⁾. وقد تم استخدامه توأماً مع العمل الشبابي، حيث أنشأ الحزب «التعبئة التربوية» التي هي بمثابة الذراع الطلابية له، حيث تنتشر فروعها في مختلف الجامعات والثانويات وتهيمن على الفروع الرسمية الموجودة فيها بكثافة، وخصوصاً في المناطق والأحياء ذات الكثافة الشيعية. وهي تعرف عن أهدافها بوضوح: «دعم المقاومة وتعميم ثقافتها وتجذيرها ورفضها بالكفاءات المتخصصة، والتزام القضايا الكبرى للوطن والأمة»⁽²⁶⁾.

تعكس أنشطة التعبئة التربوية مواقف الحزب وإيقاع ديناميته السياسية وتحالفاته مع القوى الأخرى في الجامعات، إلا أن الميدان الأبرز لهيمنته يبقى فروع الجامعة اللبنانية في الجنوب، ومجمع الحدث المركزي للجامعة، حيث تقيم التعبئة أنشطة واحتفالات متنوعة (معرض سيد الشهداء، يوم الشهيد، وقفات تضامنية في مناسبات إسلامية أو وطنية، مسيرات في حرم الجامعة، لقاءات ثقافية ومهرجانات في مناسبات متنوعة). أما في الجامعات الخاصة، فغالباً ما تجرى انتخابات طلابية في أجواء تنافسية حادة مع قوى (14 آذار)، خسر فيها حزب الله مع حلفائه -أخيراً- في الجامعة الأمريكية -على سبيل المثال- إلا أن مثل هذه الانتخابات جرى تعطيلها في الجامعة اللبنانية منذ سنوات عدة خوفاً من أن تتطور إلى اشتباكات بين المتنافسين.

(25) نشأت في إيران أيام الحرب الإيرانية - العراقية لتساند القوات العسكرية في الدفاع عن الدولة، وأخذت دورها عندما أطلق الخميني عبارته الشهيرة لإعداد جيش العشرين مليوناً، ولهذه القوات الشعبية برامج عسكرية كدورات ومناورات مختلفة أثناء السنة للبقاء في حالة الجهوزية الدائمة.

(26) انظر: الموقع الرسمي للتعبئة التربوية على الرابط التالي:

لا تكتفي التعبئة التربوية بهذا النوع من الأنشطة، فلديها حزمة واسعة من الأنشطة، تتمثل بتقديم الخدمات للطلاب بدءاً بتنظيم الدورات التدريبية لهم وتأمين المقررات والكتب والدورات الثقافية، وصولاً إلى الرحلات والمخيمات الصيفية ودورات الإعداد والتأهيل وتكريم المتفوقين.

يعنى الحزب -أيضاً- بقطاع المعلمين ويخصص لهم حيزاً مهماً، حيث ينتظمون داخل أطر مؤسساتية تهدف إلى إدخال الفاعلية إلى دورهم وفي محيطهم، واستقطاب زملائهم إلى أطر الحزب. وهو ما ينطبق على مختلف مجالات المهن الحرة (من محامين ومهندسين وأطباء).

الشباب والعمل الكشفي: يولي حزب الله الفتیان والشباب أهمية كبيرة في عملية التفاعل والتأطير، وهو -في سبيل ذلك- عمد إلى تأسيس جمعية كشافه المهدي ومدينة الإمام الخميني الشبابية، وتعتبر جمعية كشافه المهدي⁽²⁷⁾ -التي يعود تأسيسها إلى عام 1985، على الرغم من أنها لم تزل الترخيص الرسمي من وزارة التربية الوطنية والمديرية العامة للشباب والرياضة إلا عام 1992، ثم انضمت رسمياً إلى الاتحاد الكشفي اللبناني بداية عام 1997- تعتبر من أنشط وأبرز الجمعيات الكشفية -اليوم- في لبنان.

إن القارئ لأهداف الجمعية سيجدها تتبنى أهداف ومبادئ وطريقة الحركة الكشفية كما نصت عليها المنظمة الكشفية العالمية والعربية واتحاد كشاف لبنان، ولا تختلف عنها سوى في الخلفية التاريخية والعقائدية. فهي تلتزم بمفاهيم الإسلام وفق المذهب الشيعي الاثني عشري، وتغرس في الناشئة عقيدة ولاية الفقيه. وهي -اليوم- تعتبر من الجمعيات الكشفية الكبيرة العاملة في لبنان، حيث تنتشر في معظم الأراضي اللبنانية، وخصوصاً في بيروت والبقاع والجنوب، وتجاوز عديدها بحسب إحصاء أعلنته الجمعية عام 2005 خمسة وأربعين ألفاً موزعة على خمس مفوضيات: بيروت، جبل لبنان، الجنوب (وتنقسم إلى مفوضيتين: جبل عامل الأولى

(27) انظر: موقع جمعية كشافه المهدي على الرابط التالي:

<http://www.almahdiscouts.net/essaydetails.php?eid=35&cid=6>

وجبل عامل الثانية)، البقاع، الشمال، والتي توأكبها مجموعة مفوضيات اختصاصية (التدريب والبرامج العامة، الإعلام والفنون، الإدارة والممتلكات، الموارد البشرية وشؤون الأفراد، العلاقات العامة، المرشدات، الإنترنت، مجلة المهدي، التفتيش).

تتوزع نشاطات الجمعية على جوانب عديدة، أبرزها: تدريب الجوالة، والقيام بنشاطات بيئية وتوجيهية وترفيهية، إلا أن المتصفح للموقع الإلكتروني للجمعية، يلاحظ أن غالبية الأنشطة يغلب عليها طابع المشاركة في إحياء وتنظيم المناسبات الاحتفالية والأنشطة الدينية والحزبية الخاصة بالحزب. فعلى سبيل المثال، نلاحظ في عينة من الأنشطة قمنا بتتبعها في زيارتنا⁽²⁸⁾ للموقع الإلكتروني شملت آخر (20) نشاطاً للجمعية، تبين أن بينها (9) أنشطة لمفوضيات مختلفة، استهدفت إحياء مناسبات دينية ومجالس عزاء ومسيرات عاشورائية، وما شابه ذلك، و(5) أنشطة تكريم بعضها يتصل بما سبق، ونشاطاً بيئياً واحداً، وندوة ثقافية واحدة جاءت تحت عنوان «بناء الشباب من خلال نماذج عاشوراء».

تصدر الجمعية مجلة تحت اسم «مجلة مهدي»، وهي متخصصة بالفئة العمرية (8 - 13 سنة) وهناك أعداد مخصصة بالفئة (4 - 7 سنوات) وهي توزع على شبكة مدارس المهدي. وقد نشر المدون خالد علم الدين دراسة تحليل مضمون مصوّر لبعض أعداد هذه المجلة، ونشر بعض ما تحتوي على صفحته، والتي تحتوي على نصائح الخميني والخامنئي، وتدور موضوعاتها الرئيسة حول الاستشهاد والمقاومة، مصحوبة برسوم أغلبها بنادق ودبابات وعبوات. وتبدأ المجلة بمقدمة ترشد الأهل حول كيفية تعليم أبنائهم فكر المقاومة، وتقترح عليهم بعض النظريات في هذا المجال. في أجزاء أخرى تتضمن صفحات التلوين معدات عسكرية، كما تمتحن المجلة الأولاد عبر تمرين متعلق باعتداء بقنبلة ومزين ببعض الأسلاك الشائكة، وألعاب مثل ساعد الأرنب على اجتياز حقل الألغام، أو اختبار مهارتك في الرياضيات في عد الألغام، هذا عدا عن المتاهة المتعلقة بالألغام⁽²⁹⁾.

(28) جرت زيارة الموقع بتاريخ 2014/12/3.

(29) موقع خالد علم الدين على الرابط التالي:

في تصفح موقع مجلة المهدي، نجد -فضلاً عن ذلك- مجموعة من الأعداد الصادرة تحوي -أيضاً- قصصاً مختلفة، منها ما جاء تحت عنوان «مقاومون» أو قصص مجلة «بقية الله»، لكنّ -أيضاً- هناك أعداد غلب عليها الطابع الترفيهي، حيث تقيّم مؤسسة الهادي علاقات الطفل السمعية والبصرية وصعوبات اللغة والتواصل، وأنشطة (كرمس) بالإضافة إلى ألعاب مع أطفال المهدي.

ويمكن تلمس الاهتمام بمرشدات المهدي وحركية هذا القطاع، التي أصبحت جمعية مستقلة منذ 2003 ونالت الترخيص عام 2005، وتعرف عن نفسها بأنها جمعية إرشادية تستهدف الإرشاد التربوي والتفاعلي والاجتماعي للفتيات، وهي انضمت إلى الاتحاد اللبناني للمرشدات والدليلات وأصبحت ممثلة في المفوضية العامة للاتحاد.

تركز جمعية المرشدات عملها على: البراعم (من 6 - 8 سنوات) والزهرات (من 9 - 11 سنة) والمرشدات (من 12 - 14 سنة) والدليلات وهي الجواله (من 15 - 17 سنة). تصدر الجمعية مجلة الرائدة، وهي مجلة فصلية ذات طابع إرشادي وتربوي وكشفي، وقد صدر منها (26) عدداً بتاريخ 2014/11/13. في الأنشطة الميدانية، لا يختلف ما تقوم به الجمعية عن ما تقوم به جمعية كشافة المهدي، حيث يغلب عليه إحياء المناسبات الدينية.

من أبرز أنشطة جمعية المرشدات مشروعات «الجات»، وهي عبارة عن حملات منظمة تستهدف التكافل الاجتماعي ومكافحة الفقر المدقع والجوع، من خلال تنظيم جهود فتياتها لجمع مساعدات عينية وتقديمها إلى فئة محرومة أو شبه معدومة من المجتمع. وقد انتشرت هذه المشروعات في أكثر من منطقة عبر مفوضيات الجمعية، واستهدفت (أيتاماً - فقراء - أرامل - مسنين - إقامة دروس تعليمية مجانية - رحلات ترفيهية، أياماً صحية مجانية...).

إلا أن أهم وأبرز الإنجازات في هذا المجال هو «مدينة الخميني الشبابية الكشفية»⁽³⁰⁾، التي تعتبر من أكبر وأهم المدن الكشفية الشبابية في لبنان والعالم العربي. وهي مصممة لتستوعب جميع الأنشطة الصيفية وإقامة المخيمات والمهرجانات والدورات (الكشفية والرياضية والثقافية) والندوات والمحاضرات والمؤتمرات ومجالات الترفيه المختلفة، من مسابح متعددة للصغار والكبار، وملاعب عديدة، ومطعم حديث، وموقف للسيارات، فضلاً عن مسجد ومركز صحي وقاعة مسرح متدرج ومتحف قيد الإعداد. وتقع في محافظة النبطية قرب بلدة زوطر الشرقية على مساحة (150000) م²، وترتفع عن سطح البحر حوالي (500) متر. وقد بنيت على أسس حديثة، بحيث تتميز بشبكة طرق داخلية تسهل الحركة بأرجائها فضلاً عن إنارة وحدائق عامة.

أطلق كشافة المهدي، وكذلك فعلت جمعية مرشدات المهدي، ما يعرف باسم «مكتبة المهدي المتجولة»، وهي عبارة عن حافلة كبيرة متنقلة موجهة للأطفال والناشئة، بالتعاون مع مركز التنمية الفكرية للأطفال والناشئة في إيران، والهدف منها تعزيز المطالعة والعلاقة مع الكتاب. وقد تم تجهيز الحافلة لتستوعب (8) آلاف كتاب في مختلف المجالات الأدبية والتربوية والفنية، وأكثر من ألف قرص مدمج من الأفلام والبرامج الرقمية التي يمكن استخدامها عبر تجهيزات الإنترنت والكمبيوتر الملحقة بالمكتبة المتجولة. وفضلاً عن الخدمات المباشرة التي تقدمها، فهي تقوم برعاية وتشجيع عدد كبير من الأنشطة الفنية كالرسم، وصناعة الدمى، والأشغال الفنية، ومسابقات وتجارب علمية وكتابة القصص والمطالعة... والنشاطات التفاعلية. وهي تقوم بزياراتها إلى البلدات والأحياء بالتنسيق المسبق مع البلديات أو الجمعيات أو المدارس الرسمية والخاصة⁽³¹⁾.

(30) لمزيد من التفاصيل حول مدينة الإمام الخميني الشبابية الكشفية انظر الرابط التالي:
http://mahdifamily.net/files/madinat_imam/index.html

(31) لمزيد من التفاصيل حول هذا المشروع انظر الرابط التالي:
<http://mahdifamily.net/files/maktaba/index.html>

رابعاً: المؤسسات الثقافية والتعبوية والدينية

أنشأ الحزب من أجل استيعابها أطراً مختلفة ومتعددة، تداخل فيها النشاط الديني والثقافي والتعبوي والعقائدي، لكن ذلك كله ينتظم -على الرغم من تنوعه وتعدده وتمتع بعض مؤسساته بشيء من الخصوصية- ضمن إطار «جمعية المعارف الإسلامية الثقافية»، التي تأسست عام 1996، وقامت بدور فاعل في مختلف المجالات⁽³²⁾ (تثقيف عقائدي، مؤتمرات، أنشطة ثقافية، تشجيع المطالعة، محو الأمية، مراكز ثقافية، إنشاء مكاتب...) أنشأت الجمعية: معاهد الإمام المهدي للدورات الثقافية، مركز نون للتأليف والترجمة، مركز المعارف للمنشورات الثقافية، مجلة بقية الله، شبكة المعارف الإسلامية الإلكترونية، دار المعارف الإسلامية للتوزيع، بيت المعارف للإصدارات الإلكترونية، مركز مداد لدعم المكتبات، جمعية مراكز الإمام الخميني الثقافية.

وهناك أنشطة ضخمة تتم من خلال «جمعية مراكز الإمام الخميني الثقافية» في لبنان والتي تأسس أول مركز لها في بيروت عام 1991 بمبادرة من السيد عيسى الطباطبائي، لتنتشر بعدها على مختلف مناطق الوجود الشيعي في لبنان، شاملة خمسة عشر مركزاً موزعين على الشكل التالي: محافظتا الجنوب والنبطية (10 مراكز في صور وبرج قلاوية وطورا وقانا والنبطية وعربصاليم وسجد وبلبخ وعمرمتي ومشغرة) وفي بيروت مركزان كبيران (مركز المعمورة ومركز خاتم الأنبياء) في النويري، وفي محافظة البقاع (ثلاثة مراكز في بعلبك وطاريا والهرمل)، هذا عدا عن المكتبات التي قامت الجمعية بتجهيزها ومدّها بالكتب، والمكتبات الأخرى المشمولة بمشروع الجمعية لمّد المكتبات بالكتب ضمن مبادرة تسمى «مداد»⁽³³⁾.

تتجه مراكز الإمام الخميني الثقافية بشكل مباشر نحو الأهداف الأيديولوجية

(32) على موقع الجمعية شبكة كاملة ومتراصلة للمؤسسات العاملة تحت رعايتها، انظر الرابط التالي:
<http://www.sadaalmaaref.com/index.php/2262498744654684>

(33) حول أنشطة مراكز الإمام الخميني الثقافية، انظر رابط المركز الرئيس:

<http://www.imamcenter.net>

والعقائدية للحزب، وتتمتع بشيء من حرية الحركة في البيئة الاجتماعية التي تعمل فيها، وهي تحدد أهدافها الإسلامية الدعوية بدقة، وتفصلها لجهة استهدافها «تعميق الارتباط بأهل البيت وشخصياتهم وطرح النهج الحسيني والثقافة العاشورائية كأساس في ثقافة الحياة»، كما يعتبر من أبرز أهدافها التعريف بشخصية الخميني وفكره، كونه معبراً عن «الإسلام الأصيل»، وتركيزها على «طرح نظرية ولاية الفقيه بحسب فهم الخميني وتطبيقه لها» ومن ثم التعريف بشخصية علي الخامنئي وفكره، مع تخصيصها محاور عن ثقافة الجهاد والمقاومة.

هذا، وتقوم الجمعية من خلال مراكزها بعديد من الأنشطة التي تشمل الندوات واللقاءات الحوارية والبحثية، وتكريم الشخصيات العلمية، وحفلات تواقع ومناقشات الكتب، وإقامة معارض للكتاب والصور، وفتح الديوانيات الأدبية والفكرية ذات الأنشطة العامة والداعمة بما يخدم أهداف الجمعية بطبيعة الحال.

تعتبر «مكتبة المعمورة» من أكبر المكتبات التي أنشأتها الجمعية؛ فهي تضم حوالي (18) ألف كتاب. من خلال الاطلاع على عناوين وموضوعات هذه الكتب المنشورة على صفحة المكتبة وتحليل أنواعها، يتبين أن الكتب الدينية والإسلامية -بالتحديد- المتعلقة بعلوم القرآن والحديث وسيرة أهل البيت والفقه والفرق الإسلامية قد بلغت (11575) كتاباً، بما يساوي نسبة 64٪، فيما بلغت كتب التربية واللغة والأدب العربي والتاريخ والجغرافيا (1428) كتاباً، بما نسبته 8٪، أما كتب علم النفس والفلسفة والاجتماع والاقتصاد والسياسة فبلغت (2436) كتاباً، بنسبة 14٪، أما كتب الطب وإدارة الأعمال والفنون والتراجم فبلغت (1008) كتب، بنسبة 6٪، والباقي بنسبة 8٪ كتب متنوعة، مما يعني أن ما يقرب من ثلثي المكتبة مخصص للعلوم الدينية والفكر الإسلامي الهادف لخدمة أهداف الجمعية -تحديداً- أكثر منه توفير المعرفة والثقافة بشكل عام⁽³⁴⁾.

وللتثقيف الديني داخل الحزب دور أساسي في التعبئة والتنظيم. وتلعب

(34) للتفاصيل عن المكتبة انظر الرابط التالي:

<http://www.imamcenter.net/essaydetails.php?pid=46&eid=85&cid=46>

الحوزات العلمية دوراً محورياً في تخريج العلماء، وهناك العشرات منها يشرف الحزب عليها. وتتراوح فترة الدراسة فيها بين (3-4) سنوات، ويمكن للراغب بعدها إكمال دراسته في إيران لمدة قد تصل إلى (15) سنة.

في الواقع، يحفل الحقل الثقافي والفكري والديني بالكثير من التداخل في الأنشطة على أكثر من مستوى، فمن جهة، ثمة تداخل بين الفكري والثقافي والديني بحيث يطغى الديني على ما عداه ويجتاح كل تفاصيل المشهد الثقافي في بيئة المجتمع الشيعي، التي تخضع لهيمنة حزب الله ومؤسساته الرديفة، ومن جهة أخرى، ثمة تداخل آخر يتمثل بطبيعة الفاعلين والناشطين، وتالياً، المؤسسات الثقافية والفكرية والدينية الفاعلة في هذا المجال؛ إذ تدخل المؤسسات الممولة من السفارة الإيرانية وأنشطتها الثقافية والتعبوية والدينية الواسعة في بيروت ولبنان لتكمل المشهد والوظيفة التي يقوم بها حزب الله في هذا المجال. فعلى سبيل المثال، يكفي الاطلاع على مواقع مؤسسات المعارف الإسلامية الإلكترونية ومتابعة أنشطة مؤسساتها ليكتشف المتابع حجم هذا التداخل، أو بالأحرى، الترابط العضوي ذي الطابع الشبكي، حيث يجد فيها «معهد الإمام المهدي» المتخصص بتقديم العلوم الإسلامية بعيداً من «التعقيدات والقيود الأكاديمية بهدف إيصال العلم إلى أكبر قدر ممكن من المسلمين» - حسب ما يعرف عن نفسه وهو الذي تأسس منذ عام 1991 - علماً بأن المعهد يفتح باب الدراسة بالمراسلة⁽³⁵⁾، وتجد - أيضاً - «المركز الإسلامي للتبليغ»⁽³⁶⁾ وهو من المراكز المهمة في إعداد «خطباء المنبر الحسيني على منهج علمي وفني قويم».

يتضمن المركز شبكة ضخمة أبرزها: «معهد سيد الشهداء» الذي أصدر عديد الكتب والدراسات ذات الطابع التبليغي والدعوي (مجالس الناشئة، مجالس القراء، دروس وعبر، سلسلة المؤتمرات العاشورائية، سلسلة المجالس الحسينية، سلسلة المتون التدريسية...)، أيضاً يأتي «معهد الإمام الباقر»⁽³⁷⁾ في السياق نفسه ليُعنى بإعداد

(35) للاطلاع على أنشطة هذا المعهد انظر الرابط التالي:

<http://www.maahadalmahdi.net>

(36) وهو - أيضاً - من المؤسسات الدينية والثقافية المهمة، انظر الرابط:

<http://www.almenbar.org>

(37) يتميز هذا المعهد بتحديث البرامج التي أعدها، انظر رابط المعهد:

وتأهيل المبلغين وإكسابهم القدرات والمعارف والمهارات السلوكية، وهو يتميز بانفتاح برامج إعدادة على علوم مساعدة ذات طابع اجتماعي وتنموي. ينظم معهد الباقر مجموعة من الدورات والورش تشمل مجموعة من مختلف الاختصاصات تحت عنوان «الحقائب»، فألى جانب حقيبة الفقه وحقيبة العقائد والقرآنيات والأخلاق، هناك حقائب دراسية للإعلام والتربية وعلم الاجتماع، والتاريخ والإدارة وعلم النفس والتوجيه والإرشاد والسياسة.

وللحزب -أيضاً- عدد من التجمعات والأطر التنظيمية «العلمائية». وهي تضم علماء الدين وخريجي المدارس والحوزات الذين يعملون لدعم مواقف «حزب الله» السياسية والاهتمام بأمور التبليغ الديني ومنها: تجمع علماء جبل عامل، واللقاء العلمائي، وتجمع علماء البقاع، فضلاً عن إشرافه على عديد من الحوزات والمدارس الدينية. وتتولى إعداد وتدرّيس العلوم الدينية وأصول المذهب، وهي منتشرة في معظم مناطق الوجود الشيعي. كما عمد الحزب إلى إنشاء مؤسسة خاصة تعنى ببناء المساجد والحسينيات، التي أصبح الكثير منها يضم مراكز متخصصة ومتنوعة ثقافية واجتماعية وطبية.

في هذه الشبكة لمؤسسة المعارف الإسلامية، مجموعة من المؤسسات والمواقع الدينية والتواصلية المعقدة؛ ف«جمعية النور لتعليم القراءة والكتابة»⁽³⁸⁾ مصنفة ومرخصة ضمن إطار جمعيات محو الأمية، وهي من الجمعيات النشطة في المجتمع الشيعي اللبناني، وفروعها تغطي المحافظات الخمس في لبنان، فضلاً عن المركز الرئيس في الرويس ببيروت. وقد أصدرت الجمعية كتب عدّة تعليمية في هذا المجال وأشرفت على عشرات الدورات. تنتظم -أيضاً- في إطار الشبكة «جمعية مودة» و«جمعية قيم» التي تهدف إلى المحافظة على منظومة القيم الأخلاقية والمثل العليا للمجتمع، كما تهدف إلى القيام بالأعمال الخيرية والإنسانية ومواجهة الفساد الأخلاقي في المجتمع، وقد قامت هذه الجمعية بحملة «النظام من أجل الإيمان»

<http://www.almenbar.org/essaydetails.php?eid=288&cid=65>

(38) حصلت على ترخيص رسمي لمزاولة نشاطها بموجب علم وخبر تحت رقم (1161) كجمعية لمحو الأمية. انظر الرابط التالي: <http://www.alnour.org>

وحملة «الحجاب» و«حملة التكافل الاجتماعي» وحملة «أسرتي سعادتي». ونظمت هذه الجمعية -على سبيل المثال- عديد الأنشطة، منها عدد من ورش العمل جاء تحت عنوان «الحرب الناعمة» من ثلاث حلقات، وقد نشرت في كتب صدرت عن الجمعية. في أحدها وتحت عنوان «كيف نواجه الحرب الناعمة» تحدث، نائب الأمين العام لحزب الله نعيم قاسم⁽³⁹⁾، وهي بهدف التحذير من الغزو الثقائي تحت هذا العنوان. للجمعية عدا ذلك مشروعات لكفالة الأيتام والتكافل الاجتماعي.

هناك -أيضاً- ضمن هذه الشبكة «معاهد سيدة نساء العالمين»⁽⁴⁰⁾ التي تهدف إلى رفع مستوى الاهتمام بالطاقت النسائية وإعدادهن بشكل سليم، من خلال اعتماد سياسة تدريبية وتأهيلية في معاهد نسائية متخصصة للوصول إلى مرحلة متقدمة ببعضهن، للقيام بمهام التبليغ والرد على انتشار الثقافات المنحرفة من «خلال اعتماد الحوار العلمي وطرائق التعليم الحديثة، مستفيدة من الأدلة المستقاة من واقع الحياة والعلم الحديث». يتبع للمعهد حوالي (25) معهداً موزعين على مختلف الأراضي اللبنانية (12) معهداً في الجنوب و5 معاهد في البقاع و4 في جبل لبنان والشمال. يتبع لهذه الشبكة «مجلة بقية الله» التي تقدم ثقافة دينية وفقهية ومعارف إسلامية شيعية ومفاهيم خمينية. وقد صدر منها حتى نهاية عام 2014 حوالي (280) عدداً، وهي تحتوي بشكل دائم على ملف رئيس وموضوعات متنوعة، عدا الأبواب الثابتة. في حين تخصص «صدى المعارف» في تغطية الأخبار الثقافية والأخبار ذات الصلة لمختلف الأنشطة التي تقوم بها الشبكة وجمعياتها المختلفة في لبنان وإيران، وتتبع أي نشاط على كل وسائل الإعلام. وللحزب بعض المؤسسات المتخصصة المهمة مثل «المركز الاستشاري للدراسات والبحوث» الذي يعنى بالتخطيط الإستراتيجي وإعداد الدراسات والأبحاث المتخصصة وتنظيم المؤتمرات حولها، وهو يملك مركزاً ومكتبة غنية في هذا المجال.

(39) انظر موقع جمعية قيم على الرابط التالي:
<http://www.qiyam.org/essaydetails.php?pid=159&eid=226&cid=159>

(40) انظر موقع المعهد على الرابط التالي:
<http://www.almaahed.org>

على المستوى الإعلامي السياسي والتواصل، عمد حزب الله إلى تأسيس مجموعة من المؤسسات الإعلامية لنشر أهدافه ومواقفه السياسية والتعبئة الشعبية والتواصل مع مختلف الفئات داخلياً وخارجياً، وقد عمد إلى تطوير مؤسساته الإعلامية مستفيداً من قدرات وتجارب الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ويعتبر تلفزيون المنار من أبرز مؤسساته في هذا المجال، الذي تحول إلى محطة فضائية مهمة، وكذلك إذاعة النور وجريدة العهد، فضلاً عن امتلاك الحزب شبكة مواقع إلكترونية تواصلية عمد إلى تطويرها بشكل حثيث، ولديه في هذا المجال «وحدة العلاقات الإعلامية» تتولى إدارة العمل الإعلامي والتواصل مع الإعلاميين وتغطية نشاط الحزب وقياداته، وقد بدأ الحزب يهتم -أخيراً- بالفنون والمسرحيات والأناشيد والإنتاج التلفزيوني الذي بدأت تظهر بعض نتائجه على تلفزيون المنار وتلاقي صدى وترحيباً في مجتمعه.

الخلاصة

إن مكونات حزب الله وبنيته لم تعد مكونات تنظيمية وحزبية وعسكرية فقط، بل تداخل معها الجانب المؤسساتي، فأصبح الحزب كياناً سياسياً واجتماعياً وتربوياً ضخماً، يرتبط به ويفيد من خدماته الألوفاً، وهو يستخدم آليات فاعلة لضبط وإدارة طاقته وإبقاء جذوة التعبئة فيها حول خطابه العقائدي والسياسي. وأهم هذه الآليات تتمثل بالتأكيد الدائم على دور المرجعية الدينية والولاء لزعامتها المتمثلة بالولي الفقيه، وهو - وفق المنظور الخميني - يرى أن دور العلماء مماثل لدور الأنبياء والأئمة، وأن عملهم لا يقتصر على المسائل الحسبية وبيان الأحكام، بل يتصل إلى القضايا الاجتماعية والسياسية، وتالياً يتجاوز حدود «البيان» ليشمل حقل التطبيق والممارسة. ولأجل ذلك شرع الحزب في إعداد الكادر الديني عبر تأسيس عشرات المدارس والحوارات، وأرسل - فضلاً عن ذلك - عديد البعثات والطلاب إلى إيران لتحصيل الدراسة الدينية، الذين تخرج منهم المئات، حيث بات «المعممون» في الوسط الشيعي ظاهرة تشمل أبناء العائلات والعشائر الكبرى، فضلاً عن أبناء الفئات الشعبية وذوي الدخل المحدود، بعدما بات هذا المجال فرصة لتحسين الأوضاع الاجتماعية للعاملين فيه، إضافة لما يوفره استثمارهم للرأس مال الرمزي الذي يمثله

الدين في أوساط العامة، والذي ينعكس في فعاليات مشروع حزب الله العقائدي والسياسي.

وكان من الطبيعي أن يتم تصريف طاقة هؤلاء «المعممين» في اتجاهات عدة، كان أهمها يبدأ بالمساجد التي اعتبرها الخميني «متاريس وعلى المسلمين أن يملؤوا متاريسهم»، فهي مراكز للتعبئة والتوعية، فضلاً عن دورها المركزي في المسائل العبادية. وعلى هذا الأساس أعيد الاهتمام بإقامة صلاة الجمعة التي لم تكن تقام من ذي قبل، وفيها الخطبة التي تتناول المسائل الدينية والسياسية. وعمد الحزب -أيضاً- إلى بناء عشرات المساجد في مختلف المناطق لسد النقص، فضلاً عن الحسينيات، بحيث لم يعد هناك قرية أو بلدة تخلو منها.

يستكمل الحزب حلقة التعبئة الدينية بآليات أخرى تستهدف الإعداد العقائدي والسياسي لمنتسبيه من خلال أطر تنظيمية تتوزع بحسب الشرائح التي ينتمي إليها هؤلاء، وهي اتخذت أسماء عسكرية كدلالة على عسكرة الطائفة وانخراط المنضوين فيها في مشروعه. فكانت «التعبئة العسكرية» مفتوحة أمام الشباب اليافعين، و«التعبئة الطلابية» للطلاب في المدارس والجامعات، فضلاً عن التعبئة الثقافية والإعلام. وتتوزع على مجموعات تحمل عناوين وأسماء غالبها مستمد من تراث التشيع (أسماء الأئمة الاثني عشر وأصحاب الإمام علي والإمام الحسين...) فضلاً عن أسماء شهداء الحزب.

والمؤسسات التربوية والثقافية والشبابية والإعلامية -من خلال برامجها التي وضعت لتناسب مستويات المستهدفين عبر مراحل متدرجة⁽⁴¹⁾- إنما تستهدف في المحصلة «صوغ الوعي الجمعي» وإعادة تشكيل الهوية، وإعداد جيل من الشباب يمتلك مخزوناً عقائدياً وفكرياً يؤهله للالتزام بأوامر الولي الفقيه في مختلف الظروف، باعتبارها «تكليفاً شرعياً» دينياً من المفروض عليه الالتزام به. فالعضو

(41) انظر: أطروحة الدكتوراه لفسان فوزي طه، بعنوان: القرابة والطائفة والسلطة في منطقة بعلبك- الهرمل بين عامي (1860-1996). صادرة عن معهد العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية (2004-2005) ص 327.

يفترض أن يصبح صاحب رسالة ومقاتلاً عقائدياً تذوب فرديته وانتماءاته في إطار اعتقادي مذهبي أعلى وأعمق⁽⁴²⁾ من انتمائه أو ولاءه الوطني والعربي. فالتربية التي أصبح يتلقاها الأفراد تقوم على التمهيد للإمام المهدي المنتظر الثاني عشر. وهي أيضاً تربية تقوم على المثال الحسيني المتعالي-شيعياً- عن كل مضاهاة أو مضارعة.

وعملية التعبئة هذه، يتم ردها بخلق مناخ موازٍ على صعيد الاجتماع الشيعي العام. فالاحتفال بالمناسبات المقدسة وإحياء ذكراها وسيلة مهمة في بث وترسيخ الخطاب. والاحتفال بولادات ووفيات الأئمة الاثني عشر والرسول وابنته السيدة فاطمة الزهراء محطات أساسية لحشد الطائفة وإبراز خصوصيتها وفائض القوة. وهذه الاحتفالات لم تكن تحظى بهذا النوع من الاهتمام والانتشار قبل حزب الله. وقد بلغت حوالي ثلاثين احتفالاً سنوياً، يرافقتها -أحياناً- استعراضات مسلحة تقام بأوقات محددة في القرى والبلدات كافة، وهذا الأمر -بلا شك- يؤدي إلى ترسيخ الوعي الهوياتي الخاص في نفوس «الجماعة-الطائفة».

لقد سعى الحزب بفعالية إلى الإفادة من المناسبات العاشورائية، وتمثل ذلك في أساليب متنوعة، منها: مجالس التعزية، ومشهدية اليوم العاشر، التي خضعت للتوظيف المبالغ فيه، ففيها يظهر التمازج الديني-السياسي بأوضح تجلياته. فقد عمد الحزب إلى تنظيم احتفال مركزي مهيب يطل فيه الأمين العام، عدا عن احتفالات مركزية في مراكز الأفضية، تتقاطر فيها الجموع من نساء ورجال وأطفال لسماع تلاوة السيرة الكربلائية الكاملة. وبعد أن ينتهي قارئ المجلس الحسيني من تلاوتها التي تستغرق حوالي الساعتين، يبرز المشهد الاحتفائي بأشكال بالغة التنظيم، حيث تتجمع المواكب المختلفة موزعة على مجموعات متسلسلة من الرجال والشباب المتشحن بالسواد، وقد وضع بعضهم على جباههم عصبة حمراء كتب عليها شعارات «لبيك يا حسين» أو «يا لثارات الحسين»، وآخرون يحملون بيارق سوداء إلى جانب أعلام حزب الله وصور شهدائه، فيما الصفوف الأخرى تقف وراء منشد اللطمات الحسينية، وخلف الرجال تقف النساء المتشحات بالسواد أيضاً، وقد رفعت

(42) حسين، أبورضا، التربية الحزبية الإسلامية.. حزب الله نموذجاً. دار الأمير، بيروت، 2012، ص545.

فيها رسومات تاريخية تجسد مشاهد من الملحمة الكربلائية، فتظهر مواكب السبايا، وكف شقيق الحسين أبي الفضل العباس، فيما تخصص الصفوف الخلفية للأطفال الحاملين للشعارات التي تجسد مظلومية الإمام الحسين⁽⁴³⁾. وقد أصبحت تشارك في المواكب - أيضاً - مجموعات من المقاتلين يجددون في هذه المناسبة العهد بالولاء والاستعداد للاستشهاد.

استوحى حزب الله - أيضاً - من الثورة الإسلامية في إيران مشهدية الاحتفال بيوم القدس باحتفال مركزي ضخم خلال شهر رمضان، يتخلله استعراض عسكري كبير لمجموعات ضخمة من المقاتلين الموزعين على فرق وتشكيلات متنوعة، يضع فيها المقاتلون عصابات حول رؤوسهم كتب عليها «يا قدس إننا قادمون».

كذلك لا يفوت الحزب فرصة تأبين الشهداء أو تشييعهم والاحتفال بذكراهم لتثمين فعل الشهادة في طائفته. ولكي تكتمل أبعاد العملية التعبوية اهتم حزب الله بوسائل الإعلام اهتماماً بالغاً، فشملت المكتوب والمسموع والمرئي وفق أحدث التقنيات.

يبقى السؤال: هل يمكن أن يتسرب الفساد إلى مثل هذه المؤسسات المحصنة بالتقوى والدين؟

حين تختلط السياسة بالدين والمال، تسقط بعض الحصانات الأخلاقية ويتسرب الفساد تدريجياً. والصورة المثالية التي يعمل الحزب على ترويجها تعرضت للكثير من الأضرار، فقد بدأت تظهر به بعض عناصر التملل والانتقاد داخل أوساط علماء الدين من جراء تغلغل الحزبية واختلاطها بالتقاليد العلمية العريقة للحوزات، وظهور حالات الترف التي لم تعرف يوماً عن علماء الشيعة، فضلاً عن تحول الدور الرسالي والتبليغي لعلماء الدين إلى دور وظيفي مرتهن بالراتب، وهو ما أفضى إلى دخول نماذج انتهازية إلى وسط العلماء، إلا أن أكثر ما أساء إلى الصورة العلمائية هو محاربة العلماء الشيعة الكبار المستقلين ومحاولة إقصائهم والتضييق عليهم،

(43) غسان فوزي طه، مرجع سابق، ص 333.

بدءاً بالشيخ محمد مهدي شمس الدين، والسيد محمد حسين فضل الله، والسيد علي الأمين، وغيرهم.

من جهة ثانية، وأكثر فداحة في ضررها على سمعة الحزب، كانت الأخبار المتتالية عن تورط قيادات وكوادر حزبية في صفقات فساد مشبوهة، وهو ما أدى بالأمين العام للحزب حسن نصر الله لاستدعاء العشرات من هؤلاء لسؤالهم: «من أين لكم هذا؟» بعد أن فاحت روائح بعض من أقرباء وأبناء كبار المسؤولين⁽⁴⁴⁾. وهي طاولت -أيضاً- «مؤسسة جهاد البناء» و«شركة وعد» وتعلقت بقيادات بالحزب راجت حولهم اتهامات واختلاسات واحتيال على مواطنين تم هدم بيوتهم لشرائها منهم بأقل من أسعارها الحقيقية.

ظاهرة الفساد هذه دفعت بالحزب إلى تشكيل لجان تحقيق مالية للتقصي عن ممتلكات الأعضاء والكوادر ومدخيلهم، والتحقيق مع من تحوم الشبهة حول مصادرها، وذلك بناء على طلب رسمي إيراني، وهكذا دخلت -أيضاً- الجهات الرسمية الإيرانية على خط التحقيقات، حيث وصلت مجموعة من المحققين المختصين للتدقيق في الحسابات التي صرفت -أيضاً- على شبكة الاتصالات السلكية الخاصة التابعة للحزب على الأراضي اللبنانية، واكتشفت مجموعة من الاختلاسات تجاوزت (5) ملايين دولار في أقل من عامين⁽⁴⁵⁾.

تدحرجت بعض الرؤوس الكبيرة داخل حزب الله، ولكن بتكتم شديد، خلال الأعوام الماضية، وطرحت بعض التساؤلات عن المناعة الأخلاقية والدينية للحزب،

(44) فضائح تهريب الأدوية المزورة والسيارات الكوبي والبلاط والسيجار الكوبي وإدخالها بدون جمرك، فضلاً عن معامل تصنيع الكبتاجون والتي أحييت على القضاء اللبناني وتورط فيها أشقاء لوزراء ونواب في حزب الله (محمد فتيش - علي عمار - حسين الموسوي) فضلاً عما أشيع عن ابن الشيخ محمد يزبك (رئيس الهيئة الشرعية في حزب الله) قد تورط ببيع مخازن سلاح للحزب إلى المعارضة السورية. لمزيد من التفصيل انظر: جريدة اليوم 10 أكتوبر (تشرين الأول) 2014 - العدد 15092، على الرابط التالي: <http://www.alyaum.com/article/4019330>

(45) ذكرت مصادر أن المدير المالي لهذه الشبكات وقيادي في حزب الله (حسين ع. فحص) و(4) عناصر آخرين متورطون وتم توقيفهم واقتيادهم إلى طهران، بعدما تبين أن الأخير أنشأ شركات موازية ليوهم الحزب أن تحوله لرجل أعمال كان بسبب إدارته لهذه الشركات. لمزيد من التفصيل انظر الرابط التالي: <http://www.alarabiya.net/articles/2012/09/14/238002.html>.

وعن مصير أموال الشعب الإيراني التي تصرف في لبنان داخل بعض الأوساط الإيرانية الرسمية، التي اعتبرت أن الطريق الأسهل لإنهاء وتدمير أي حركة ثورية وجهادية هو إغراقها بالمال، لذلك طالبت بإعادة النظر بآليات المساعدات المالية، لكن الأخطر من كل هذا، حالة الصدمة والريبة التي أخذت تنتشر في صفوف بعض أعضاء وكوادر الحزب، وخصوصاً بعد انكشاف أكثر من خرق للموساد الإسرائيلي للجسم الأمني داخل حزب الله، كان أخطرها وآخرها في الوحدة المعنية بالعمليات الخارجية⁽⁴⁶⁾.

كان سبقه محمد سليم «أبو عبد» الذي هرب إلى إسرائيل عبر الحدود الجنوبية عندما أحسّ بقرب اكتشافه، وكان يشغل منصباً لوجستياً سمح له بزرع أجهزة تجسس داخل بعض مراكز الحزب، هذا فضلاً عن قصة المهندس محمد عطوي والعميل محمد الحاج مسؤول وحدة التدريب بالحزب المعروف باسم «أبو تراب» المقرب من نصر الله، والمتهم بالعمالة للمخابرات الأمريكية، والذي سبب اكتشافه صدمة لنصر الله⁽⁴⁷⁾.

في الخلاصة، وبالعودة للفرضية الأساسية لهذه الدراسة، تفيد كل هذه المعطيات التي تفحصناها أن حزب الله قد نجح في الاستثمار الفاعل لموارده الخارجية في بيئته، واستطاع أن يحضر عميقاً في شحن «الوعي الجماعي» للشعبة اللبنانية بمتغيرات جديدة ما كان سابقاً لها مثل هذه الأولوية. لكن كل هذه المتغيرات

(46) والتي كشف عنها أواسط شهر ديسمبر (كانون الأول) 2014 واعتبرت أخطر خرق أمني للموساد يحققه من خلال تجنيده مسؤولاً أمنياً رقيقاً في وحدة العمليات الخارجية للحزب مع خلية من أربعة عناصر. لمزيد من التفصيل حول هذا الخرق وما سببه من خروقات مماثلة انظر موقع شفاف الشرق الأوسط على الرابط التالي:
http://www.middleeasttransparent.com/spip.php?page=article&id_article=29935&lang=ar

(47) تسببت هذه الخلايا التي اكتشفت داخل صفوفه بأضرار بالغة لسمعة حزب الله الأمنية، التي كان يفاخر بها، وخصوصاً أن واحدة منها عملت بشكل مزدوج للموساد والمخابرات الأمريكية، وتسببت في اغتيال حسن عز الدين المتهم إلى جانب عماد مغنية بعملية خطف الطائرة الأمريكية (TWA) والتي كان ضحيتها أحد ضباط البحرية الأمريكية حينها، وهذه الخلية كما ذكر موقع شفاف تتألف من محمد الحسيني وجهاد جلول ومحمد السبع، والثلاثة شغلوا مناصب مهمة، وأحدهم كان مرافقاً للمعاون السياسي لأمين عام الحزب حسين خليل، إلا أن أخطرهم كان الحسيني... لمزيد من التفصيل عن هذه الشبكات انظر: تحقيق شامل (الفساد ينخر الدولية) استناداً إلى رصد تقارير الصحف اللبنانية والعربية والمواقع الإلكترونية في جريدة القبس الكويتية على الرابط التالي:
<http://www.alqabas.com.kw/node/127085>

انظر أيضاً حول قضية المهندس عطوي ومحمد الحاج: تقرير في المركز اللبناني للأبحاث والاستشارات على الرابط التالي:
<http://www.center-lrcr.com/index.php?s=news&id=4391>

(مؤسسات تربوية واجتماعية وإعلامية وثقافية وخدماتية) تبقى «متغيرات تابعة» وليست متغيرات مستقلة، هي تابعة لـ«ثابت» واحد، هو بحد ذاته متغير مستقل يتمثل بالموارد المادية الخارجية المتدفقة على حزب الله من إيران.

هذا على الرغم من إيجابياته المنظورة والظاهرة، فإنه يفاقم مع الوقت ظاهرة الفساد والانتكالية والوظيفية والتبعية داخل هذه المؤسسات، وبالتالي ما لم يستطع حزب الله الاستقلال بموارده بشكل كامل أو نسبي، وهذا عدا عن أنه غير ممكن موضوعياً، هو غير مفكر به جدياً وربما غير مسموح به من قبل الجهة الداعمة لما يعنيه من إمكان التفلت مع الوقت، تبقى الإنجازات والمتغيرات التي صنعها داخل «الجماعة - الطائفة» عرضة للمنافسة والتآكل والمفاجآت وللضمور، إذا ما توقف المدد أو طرأ خلل في آليات تدفق الموارد الخارجية، وهذا ما حدث في الكثير من التجارب المماثلة في العالم.